**جامعـــة البصـــــــرة**

**كليـــة الاداب**

**قسم الفلسفة**

# ايمانوئيل كانط

**المادة / الفلسفة الحديثة**

**المرحلة / الثالثة**

**م.م. غيداء حبيب علي**

اول الفلاسفة والذي تبدأ معه حقبة جديدة في الفلسفة الحديثة خصوصا والفلسفة عموما هو الفيلسوف الالماني كانط ، وفي البدء نستعرض لأهم محطات حياته ومؤلفاته.

## إيمانوئيل كانط

ولد إيمانوئيل كانط في كونجسبرج في ألمانيا (١٧٢٤- ١٨٠٤) وكان أبوه سروجيا ، تلقى تعليمه بإحدى المدارس الثانوية بالمدينة ، ثم بجامعتها التي قام بالتدريس فيها فيما بعد محاضرا أولا ثم أستاذا بعد ذلك لعدة أعوام وقد اثر في فكر كانط تياران رئيسان من تيارات الفلسفة الأوربية : احدهما النزعة العقلية التي وصلته عن طريق أساتذته بالصورة التي صاغها ( ليبنتز(١٦٤٦- ١٧١٦م) و فولف) ؛ والتيار الآخر هو النزعة التجريبية التي شعر بتأثيرها شعورا قويا حين وقع على بعض كتابات (هيوم (١٧١١- ١٧٧٦م) في ترجمتها الألمانية . إذ يجمع كانط بين هذين المذهبين (الحسي والعقلي) في محاولة لتفسير العلم والوجود مما جعل منه فيلسوف ألمانيا الأكبر

لقد تناول كانط في بداياته الفلسفية عدة مواضيع ، فنجده أحياناً كان موفقاً بين (ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠م) و ليبنتز) في مسألة القوة المؤثرة ، و أحياناً أخرى متابعاً لنيوتن (١٦٤٢ – ١٧٢٧م)، إذ درس نظرية نظام العالم في محاولة لإكمال عمل هذا الرياضي الكبير ، بمحاولة هي أشد جرأة ، وهي أستعمال منهج نيوتن ومبادئه العامة في تخطيط نشأة العالم ، و أستهوتهُ بحوث الأخلاق التي نشرها المفكرون الانكليز(شافتسري ، هيتشسو ، هيوم ) ، وأيضاً أُعجب بـ (روسو (١٧١٢ – ١٧٧٨م)). وبحث عن مبادئ الذوق والحس الأخلاقي وفكرة الواجب والشرف والصفات الحميدة .

يقع تطور كانط الفكري في ثلاث مراحل رئيسة مهمة ، المرحلة الأولى كما هو لدى الفلاسفة الألمان في عصره ، كان فيلسوفاً عقلياً ، متأثراً بـ ( ليبنتز و فولف ) ، ومع ذلك تظهر في مقالاته آنذاك علامات الأصالة وعدم الرضا عن المذهب العقلي . أما المرحلة الثانية

فتأثر فيها إلى حد ما بالفلاسفة التجريبيين البريطانيين. إذ إن مقالات هيوم و أبحاثه أيقظته من سباته الدجماطيقي ، وقادته لأستنتاج أن كل معرفة تبدأ بالتجربة ، و أن الحقيقة القصوى الخارجية للأشياء في ذاتها التي توجد وراء إحساساتنا لا يمكن معرفتها عن طريق العقل. و أصبح مقتنعاً بأنه إذا تم تطوير فكر ( هيوم ) إلى نتائجه المنطقية ، لوجدناه يتضمن بالفعل بأنه ليست كل المبادئ في الفيزياء فحسب ، بل حتى تلك المبادئ في الرياضيات أيضاً ، هي تعميمات محتملة تقوم على الملاحظات. و أن إعتقادنا بضرورتها هو بسبب العادة و تداعي الأفكار.

و في هذه المرحلة عرف كانط أيضاً في مجال الأخلاق كثيراًمن فكر فلاسفة الأخلاق البريطانيين ، و لاسيما (شافتسيري ، وهاتشيسون ، وهيوم). وحين أنجذب في البدء للمذهب التجريبي الأخلاقي ، لم يستطع أن يكتشف فيه مبادئ يمكن الأعتماد عليها بصورة مطلقة كمبادئ الرياضيات ، ووجد نفسه غير قادر على تقبل تلك المبادئ الذاتية التي لا يمكن الوثوق بها بوصفها أساساً للأخلاق (كالحاسة الخلقية ، والتعاطف ، واللذة ، والمنفعة). ليصل إلى أن المبادئ الأساسية في الأخلاق تقوم بحق في العقل. وبعدها ظلَّ فيلسوفاً عقلياً صارماً في الأخلاق. وبعد هذه المرحلة أصبح قارئاً متحمساً لـ (روسو) ، الذي كان متعاطف مع عامة الناس محترماً لحقوقهم وتفضيله للجمهورية الديمقراطية. و يعترف كانط بأثر (روسو)عليه في حواشي بحثه (ملاحظات حول الشعور بالجمال والجلال).

وقبل مرحلة النقد أزداد شعور كانط بالطبيعة الجدلية للميتافيزيقيا ، و أنكب على إعادة النظر في حدودها. ثم تأتي المرحلة الثالثة أي المرحلة النقدية ، التي تكون لوحدها أهمية عالمية. فكانط مثل (لوك (١٦٣٢ – ١٧٠٤م) وهيوم) قام ببحث جاد في مصادر المعرفة البشرية ، فحاول تحديد قدرات الذهن البشري ، إلا أن منهجه مختلف أتم الأختلاف عنهما . فقد بدأ لوك وهيوم بالتفسيرات السيكولوجية لعمليتي الإحساس والتأمل ، و ردّا الأفكار المركبة إلى أصولها المفترضة في أفكار بسيطة . على حين كانط بدأ بالمعرفة اليقينية بالصورة المطلقة التي يمتلكها الإنسان في الرياضيات، والفيزياء ، المعرفة التي تعجز الأوصاف السيكولوجية كما يرى ، عند لوك وهيوم أن تفسرها. فكانط بنى نظرية جديدة للذهن البشري ، يعتقد أنها تكفي لتفسير إنجازاته. فقد تصور الذهن بأنّه ينقسم على ثلاث ملكات أولية ، هي ملكة المعرفة ، وملكة الإرادة ، وملكة الشعور ، ويكرس لكل منها كتاباً من كتبه النقدية الثلاثة .

فيمكن القول إنّ فلسفة كانط الناضجة الخاصة به تبدأ بكتاب (نقد العقل المحض) ١٧٨١م وأشهر تسمية لها هي (الفلسفة النقدية) ؛ ومهمة هذا النقد هي عرض ما يدخل من الأحكام التركيبية القبلية في الرياضة البحتة والعلم الطبيعي ، وبيان كيف تكون تلك الأحكام ممكنة ، وتمحيص دعاوى الميتافيزيقيا. ويرى كانط أن كل حكم أما أن يكون تحليليا أو تركيبيا ، وأما أن يكون قبليا أو بعديا ، والحكم التحليلي إذا نتج عن سلبه استحالة منطقية مثل ( الشئ الأخضر ملون ) لأننا إذا قلنا الشئ الأخضر ملّون كان الحكم محالا من الوجهة المنطقية. أي تتضح حقيقية الإحكام التحليلية من تحليل الحدود التي تتألف منها . أما الإحكام التركيبية فهي تلك الإحكام التي تطلق على وقائع التجربة ، ولاسيما تلك التي تقرر قوانين تجريبية عن الطبيعة مثل (النحاس موصل للكهرباء) ، ويكون الحكم قبليا إذا كان مستقلا عن كل خبرة ، بل مستقلا

عن انطباعات الحواس جميعا . وجميع الأحكام التحليلية (قبلية) ، يمكن إظهار صدقها بمجرد تحليل حدودها من دون اللجوء إلى التجربة والملاحظة. إذ يصوغ كانط مشكلةَ الأحكام بأن يسأل (كيف يمكنْ أن تكون الأحكام التركيبية القبلية ممكنة ؟) وهذا هو السؤال الرئيس في الفلسفةِ النقديةِ ، وقد تطلبتْ الإجابةُ عنهُ نقداً لكل المعرفة النظرية والأخلاقية ، كما تطلبتْ تمحيصاً لدعوى الميتافيزيقيا بِأنها تعطى معرفة عما هو مفارق للطبيعة ، أي أنها تعطى معرفة عما يجاوز نطاق كل خبرة ممكنة .

وهذه الوقائع الثابتة هي نقطة البداية في تفكير كانط ؛ فمنها شرع في النظر ، وعليها أقام المذهب. ومنهجه هو البدء من هذه الوقائع المقررة أو المعطيات ، ثم أخضاعها للتحليل لأستخلاص عناصرها الأولية المكونة لها ، وهذا التحليل هو التحليل الترنسندنتالي ، الذي سعى إلى تحديد (أولياً) أي عقلياً وقبل كل تجربة ، الشروط التي تجعل معرفتنا ممكنة، وفي الوقت نفسه يرسم مدى هذه المعرفة وحدودها .

ثم يظهر مذهب كانط الأخلاقي ، فيُعد كتاب (تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق) ثمرة ناضجة من ثمار المرحلة النقدية ، حيث ظهر في سنة ١٧٨٥م (أي بعد ظهور نقد العقل المحض بأربع سنوات، وبعد طبعته الثانية بعامين)، إذ أستطاع كانط في هذا الكتاب أن يدعم أفكاره عن الأمر الأخلاقي المطلق ، ويعرض الخطوط الرئيسة للأخلاق النقدية ، ومهد بذلك لكتاب (نقد العقل العملي).

أما الأستعمال العملي للعقل ينمو نمواً مختصراً قرب نهاية (نقد العقل المحض) ، ونمواً أرحب في (نقد العقل العملي) عام ١٧٨٨م ، والحجة تقول أن القانون الأخلاقي يتطلب العدالة أي السعادة التي تتناسب مع الفضيلة. والعناية الألهية وحدها هي التي يمكنها أن تضمن هذا ، ويبدو إنها لم تضمنها في هذه الحياة. ومن ثم فهناك إله وحياة مستقبلة ، ويلزم أن تكون هناك حرية ، مادام من دون ذلك لن يكون هناك شئ من قبيل الفضيلة.

وفي عام ١٧٩٠م صدر كتاب ( نقد ملكة الحكم ) وبه أكتمل نظام النقد. حيث جاء هذا النقد حلقة تقع بين فلسفة الطبيعة وفلسفة الحرية. وفي العام ١٧٩٣م صدر كتاب (الدين في حدود العقل وحده) وفي ١٧٩٥م صدر (مشروع السلام الدائم) وتلاه في ١٧٩٧م (ميتافيزيقيا الأخلاق). وميتافيزيقيا الأخلاق يضم قسمين (عقيدة الحق ، التي تتعامل مع الحقوق التي لدى الناس أو التي يمكن الحصول عليها ، وعقيدة الفضيلة ، التي تتعامل مع الفضائل التي يجب الحصول عليها).

أن الفكر الكانطي فكر إيجابي وبَنّاء ، فمهمة كانط هي مهمة تأسيس وتشييد ، سواء في العلم أو في الأخلاق أو الفن أو السياسة أو الدين ؛ إذ يرى أننا قادرون على بلوغ الحقيقة في العلوم ، وأن القانون الأخلاقي يمليه الضمير ، وأن الجمال يفرض نفسه على الناس بضرورة شاملة ، وأن العقل في علياء عرشه ينكر إطلاقاً أن تكون الحرب سبيلاً من سبل الحق ، ويجعل من حالة السلم واجباً مباشراً لكل دولة ، وان الدين يلائم المطامح العميقة الراسخة في شعور الإنسان وعقله. وبتحديد وتوسيع مفهوم التوجَّه بدقة كبيرة فأنه يساعد على تقديم قاعدة العقل السليم في تطبيقاته على معرفة الموضوعات الفوق حسيّة. ففي القدرة على التوجه في التفكير عامةً كما يرى كانط يمكن القول إنّ قيادة أستعمال العقل ذاته ستكون وظيفة موكولة للعقل وحده

أن سعى أنطلاقاً من الموضوعات المعروفة (بالتجربة) إلى التوسع فيما وراء حدود التجربة كلّها ، فلا يجد أبداً أي موضوع للحدس ، بل فضاءً أو مكاناً لهذا الأخير.

ومن الملاحظ أن توجه كانط الفكري قد تطور و أنتقل من مرحلة إلى أخرى بتأنٍ فكان قارئاً ، متفحصاً ، محللاً متشككاً ، ثم ناقداً، ثم بانياً لفلسفة جديدة أحتلت مكانة كبيرة بين فلاسفة عصره بل بين جميع الفلاسفة القدماء والمحدثين والمعاصرين. وأيضا من الملاحظ أن كانط في أعماله المبكرة كان أكثر أهتماماً بالعلم ، و أن كانت أعماله لا تخلو من الفلسفة .

م.م. غيداء حبيب علي